ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيَّاتكم»[1]. والحاصل أن العمل بمنزلة الكمية والحال في مرتبة الكيفية ولا يزن الصيرفي إلا النقي لا الردي.

هذا وقيل للواسطي: هل يجوز أن يثقل الموازين بأعمالنا؟ قال: جاز ذلك لا من كل من كثرت أعماله وصفت أحواله بل الله سبحانه يثقل موازين من يشاء ويخفف موازين من يشاء، ألا ترى أن الله يقول: «الميزان بيد الله يرفع الله أقواماً ويخفض آخرين»[2] رفعهم في أزليته قبل كون الكون.

قلت: وكذا وصفهم في أزليته قبل بون البون ويؤيد قوله ما ورد في الدعاء النبوي: «اللهمَّ ثقِّل ميزاني»[3].

والهاوية من أسماء جهنم لكمال هولها جزاء لمن تبع نفسه وهولها بنعت رديئها ولذا قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠﴾ [الآية 10] أي ماهيتها وحقيقتها والهاء للسكت وأسقطها حمزة وصلاً.

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [الآية 11] ذات حرارة آنية بلغت غايتها ووصلت نهايتها فنسأل الله العافية.

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 328) رقم (10477)، من دون ذكر «نياتكم».
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (7/ 117) رقم (6557).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 724) رقم (1982).

سورة التكاثر

[مكيّة]
وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز تقدّس في آزاله عن مكان ولم يحتج في آباده إلى زمان، لا يقطعه حدّ فاني يجوز في وصفه المكان ولا يقطعه عدّ فاني يجوز في وصفه زيادة أو نقصان.

407/ ب ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التّكاثر: الآية 1] شغلكم التفاخر / بكثرة أقوامكم من أرباب المناهي وأصحاب الملاهي ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [الآية 2] أي إلى أن وصلتم إلى ذكر موتاكم في مقام التفاخر عن الأمور التي تعينكم في الدنيا وتعينكم في العقبى، أو معناه ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد في عبادة رب العباد وعن اتخاذ زاد المعاد إلى أن متم وصرتم مضيعين أعماركم في عمارة البلاد.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: شغلكم التكاثر بموتاكم عن الحياة بذكر مولاكم.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 3] ردع عن تلك الغفلة وتنبيه عن نوم الغفلة فإن العاقل ينبغي أن يكون جميع همه ومعظم سعيه للآخرة وإلا فعاقبة أمره وبال وخسارة وخسرة.

وقال سهل: سيعلم من أعرض عني أنه لا يجد مثلي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] خطأ آراءكم في متابعة أهوائكم إذا عاينتم ما وراءكم وهذا إنذار ليتنبهوا

من غفلتهم وينتهوا عن معصيتهم.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [الآية 4] تكرير للتأكيد وفي ثم إشارة إلى أن الثاني أبلغ في باب التهديد إلا أن التأسيس أولى، فقد ورد أن الأول عند الموت والثاني في القبر، وقد يقال: الأول في القبر والثاني عند الحشر والنشر.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 5] حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 5] أي لو تعلمون بين أيديكم علم الأمر اليقين لعلمكم ما تستيقنونه عند الموت أو يوم الدين لشغلكم ذلك عن غيره هنالك، فالجواب محذوف ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [الآية 6] لأن وقوعه محقق فلا يصح أن يعلق بل هو جواب قسم مقدر أكد به الوعيد المقرر وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيماً لأمره.

وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء فيه بخصومة ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ [الآية 7] للتأكيد والأولى إذا رأتهم من مكان بعيد، والثاني إذا وردوها أو المراد بالأول المعرفة بالنظر وبالثانية المشاهدة بالبصر ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [الآية 7] أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين عند علماء الدين، وأما عند العارفين فالأعلى هو مرتبة حق اليقين ففي تفسير السلمي قيل: علم اليقين ما لا يعترضه الشكوك في أمر الدين.

وقال الحسين: علم اليقين ما يستجلب بالدلائل وعين اليقين ما لا نزاع له ولا اضطراب فيه.

وقال الخراز: عين اليقين هو أن يرفع الحجب عن قلوبهم ويتجلى لأسرارهم وأرواحهم ويكشف عن أوهامهم حتى يرده عين اليقين ويرجعوا عنه سكرى حيارى. وقيل: علم اليقين هو أن تعبد الله كأنك تراه عين اليقين مكاشفة الحق بشهادة الحق، وحق اليقين ما شهد الحق لنفسه بأنه الحق المبين انتهى، وقد يقال لتوضيح الحال بتصريح المثال أنه إذا كان أحد سمع بالغيب تيقن عنده وجود هذا الإرب / فإذا رآه تيقن عنده هذا المطلب، فإذا كله 408/ أ
تحقق حقيقة الإرب وانتهى عن الطلب وتأدب في مقام الإرب.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] الذي ألهاكم عن النعيم المقيم وأنهاكم إلى العذاب الأليم. فالخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن طاعة مولاه والنعيم مخصوص بما يشغله عن أمر عقباه. وقيل: يعمّان إذ كل يسأل عن شكره بالقيام في طاعته وذكره.

واختاره الأستاذ حيث أفاد إن المراد جميع ما أعطاهم الله من النعمة يطالبهم بالشكر عليها قال: ومن النعيم الذي يسأل العبد عنه تخفيف الشرائع والرخص في العبادات ويقال: الماء الحار في الشتاء والبارد في الصيف، ومنه الصحة في الجسد والفراغ بالبدن. ويقال: الرضا بالقضاء، ويقال: القناعة بالمعيشة، ويقال: هو المصطفى ﷺ يعني فإنه النعمة الكبرى والوسيلة العظمى إلى قرب المولى في الدنيا والأخرى بل هو جملة النعم بالنسبة إلى عامة الأمم، ولذا فسر قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 112] أي برسول الله ﷺ والله سبحانه أعلم.

سورة العصر

[مكيَّة]

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة مَن سمعها لم يدخّر عنها ماله لأنه علم أنه يحمد مآله ومن عرفها لم يؤثر على نفسه لأنه لم يجد بدونها إنسه ومَن صحبها لم يمنع عنها روحه إذ الحياة الأبدية له ممنوحة.

﴿وَٱلْعَصْرِ ①﴾ [الآية 1] أقسم بصلاة العصر لفضله فإنه الصلاة الوسطى عند جمهور العلماء، أو بعصر النبوَّة عموماً أو بخصوص نبوَّة سيد الأصفياء وخاتم الأنبياء أو بجميع الدهر لاشتماله على غرائب القدرة وعجائب الحكمة.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ②﴾ [الآية 2] لفي خسران في مساعيهم ومكاسبهم ونقصان في صرف أعمارهم في مطالبهم كما قال بعض ذوي الحال: زيادة المرء في دنياه نقصان وزعم غير محض الخير خسران.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 3] بالمتعينات ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 3] من الطاعات والعبادات بتحسين النيات وتزيين الطويات بأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا واختاروا رضى المولى على مطالبة النفس والهوى ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] بالثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [الآية 3] على أمر الحق وصبر الصدق أو عن المعصية أو في المصيبة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: التواصي بالحق هو المقام مع الحق والقيام

بأمره على حد الاستقامة وقدم الصدق. وقيل: التواصي بالصبر هو أن لا تشهد البلاء بحال.

وأفاد الأستاذ: أن في التفاسير أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 3] يعني أبا بكر أي لأنه أول من آمن وأفضل مَن أيقن ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 3] عمر، أي لأن عمله الصالح في زمانه كثروا واشتهر لقوله عليه السلام: «اللهمَّ أعزّ
408/ ب الإسلام بعمر»[1] ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 3] عثمان/ [2] ولعل وجهه أنه أوصى إليه النبي ﷺ أنه إن أريد خلعه لا يقبله فإنه على الحق. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [الآية 3] علياً ولعل وجهه أنه مأمورٌ بالصبر إلى أن يأتيه زمان ولاية الأمر أو لأنه احتاج إلى صبرٍ كثير مع مخالفيه من البغاة والخوارج وغيره رضي الله عنهم أجمعين.

قلت: فحينئذ يتعين أن يفسر العصر بعصر نبينا ﷺ متضمناً للنسبة المجازية وهو ذكر المحل وإرادة الحال فالقسم في الحقيقة ليس بذلك الزمان بل لما وجد فيه من النبي العظيم الشأن فتكون كقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البَلَد: الآيتان 1،2] فيكون الجمع بينهما مفيداً لعظمة زمانه ومكانه لعلو شأنه ورفعة برهانه. ثم قال: والخسران الذي يلحق الإنسان على قسمين في الأعمال ويتبين ذلك في المآل وفي الأحوال ويظهر ذلك في الوقت والحال من القبض بعد البسط والحجبة بعد القربة وللرجوع إلى الرخص بعد إيثار الأشق والأولى بالنص ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 3] وهو الإيثار مع الخلق والصدق مع الحق ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [الآية 3] على العافية أي على اغتنامها وسؤال تمامها لقوله عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[3] فإن الجمع بينهما هو العافية فنسأل الله العافية وحسن العاقبة فلا

---

(1) انظر تفسير الرازي (17/ 114)، وتفسير النيسابوري (7/ 367)، وتفسير ابن أبي حاتم (5/ 376).

(2) انظر تفسير القرطبي (10/ 180).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 341) رقم (7845)، والطبراني في المعجم الكبير (10/ 322) رقم (10786)، وابن ماجه في السنن (2/ 1396) رقم (4170).

صبر أتم منه.

ويقال: الصبر مع الله هو أشد أقسام الصبر انتهى. والمحققون على أن للصبر أقساماً منها الصبر لله أي عن معاصيه وعلى طاعاته لأجل مثوباته وهو للعامة والصبر بالله أي بتأييده وقوته وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته والصبر على الله أي على حكمه وهو صبر السالك الذي برىء عن التصرف والاختيار ويرى أن المتصرف فيه وفي غيره هو الواحد القهار فيصبر على أحكامه مع مكابدة آلامه، والصبر في الله وهو لأجل الحضور والمراقبة والصبر مع الله وهو لأهل القرب والمشاهدة والصبر عن الله وهو لأهل المحبة إذا أراد المحبوب فراق المحب وهو أشدها مرارة ولهذا لما سمعه الشبلي شهق وخرّ مغشياً عليه، وفي هذا المقام قال من قال:

أريد وصاله ويود هجري   فأترك ما أريد لما يريد(1)

---

(1) سبق التعليق على هذا البيت، وفي الهامش كلام غير عربي.

سورة الهمزة

[مكيّة]

وهي تسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم مَن لا غرض له في أفعاله، اسم مَن لا عوض عنه في جلاله وجماله، اسم مَن لا يصبر العبد عنه مختاراً، اسم مَن لا يجد الفقير من دونه قراراً، اسم من لا يجد عن حكمه فراراً.

﴿وَيْلٌ﴾ [الآية 1] أي عذاب عظيم وحجاب جسيم حاصل ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الآية 1] في عرض المؤمنين ويبالغ في بهتان المطيعين.

وأفاد الأستاذ: إن الهمزة الذي يقول في وجهه واللمزة الذي يقول من خلفه. ويقال: الهمز بتلويح الإشارة واللمز بتصريح العبارة. ويقال: الهمزة الذي يقول ما في الإنسان واللمزة الذي يتكلم بالبهتان.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ [الآية 2] بدل من كل، وفيه إشعار بأن جمع المال هو الذي أطغاه واشتغل عن عيبه واتبع هواه وذهل في محبة مولاه واستعداد زاد عقباه. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم لتكثير ما عنده من النعم
409/أ وفيه إيماء إلى كفران نعمته واستحقاق / عقوبته، وإن زيادة المال نقصان في الحال والمآل ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الآية 2] جعله عدة لنوازل الدنيا أو عدة مرة بعد أخرى، ويؤيد هذا المرام أنه قرىء شاذاً وعدده بفك الإدغام.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الآية 3] يظن أن ماله أو كل ماله أبقاه خالداً في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود ودوام الوجود أو حب المال أغفله عن الموت

والمآل أو طول الآمال أذهله حتى حسب أنه مخلد في المآل فعمل من لا يظن الموت بحال، وفيه تعريض بأن سبب الخلود في النعم هو السعي لوجه ربه الكريم. وقيل: تقديره أيحسب بهمزة الإنكار.

وقال ابن طاهر: يظن أن ماله يوصله إلى مقام الخلد. وقال بعضهم: جمع المال من علامة الجهل بالمآل وحب المال من علامة النفاق في الأعمال والبخل بالمال من علامة الكفر في الحال. وقيل: من كان غناه بماله فهو فقير ومن كان غناه بجاهه فهو حقير ومن كان غناه بعشيرته فهو أبله ومن كان غناه بمولاه فغناه بمولاه.

وزاد الأستاذ: إن الأنس بغير الله وحشة والعز بغير الله مذلة.

﴿كَلَّا﴾ [الآية 4] ردع له عن حسبانه.

وقال الأستاذ: المعنى ليس كذلك ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلۡحُطَمَةِ﴾ [الآية 4] في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] ما النار التي لها هذه الخاصية وهو تهويل وتنبيه على عدم إدراك حقيقة هذه الماهية.

﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] تفسير لما قبله أي هي نار الله العظيم البرهان فالإضافة لتفخيم الشأن ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ [الآية 6] التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر أن يطفئه ما سواه.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الآية 7] لعلو وسائط قلوب أهل العيوب وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في الأعضاء وأشد تألماً من سائر الأجزاء ولأنه محل العقائد الرديئة ومنشأ الأعمال الدنية وفيه إيماء إلى أن العاصي من المؤمنين ولو دخل النار لا يكون عذابه مثل عذاب الكفار ولذا قيل: التعذيب في حقه التهذيب بالسعير كتنظيف الزلات في الكبر.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم﴾ [الآية 8] من فوقهم ﴿مُّؤۡصَدَةٌ﴾ [الآية 8] مطبقة مغلقة. وقرأ أبو

عمرو وحفص بالهمزة وكذا في الوقف حمزة.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الآية 9] أي موثقين في أعمدة ممدودة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عمد بضمتين.

وأفاد الأستاذ: أن نيران المعرفة إذا اتقدت في قلب المؤمن أحرقت كل سؤال وأرب فيه ولذلك تقول جهنم غداً: «جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي»[1].

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (22/ 258) رقم (668).

سورة الفيل

[مكيّة]
وهي خمس آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم غني من أطاعه أغناه ومن خالفه أضاعه وأقماه، اسم عزيز من وافقه رقّاه إلى الرتبة / العليا ومن خالفه ألقاه في المحنة الكبرى. 409/ ب

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾ [الآية 1] الخطاب للحضرة النبوية وإن لم يشهد بحسب النظائر تلك القضية لكن لما شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وعلمها بأسرارها، ولم يقل ما فعل ليكون إيماء إلى تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وشموله وعزّه وشرف رسوله، فإنها من الإرهاصات وهي الكرامات من خوارق العادات مقدمة لثبوت رفعة مرتبة صاحب النبوة إذ روي أن مولده عليه السلام كان تلك السنة وقصتها أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس (بمعنى المرتفع) فأراد أن يصرف إليها الحاجّ فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً (أي قضى حاجته) فأغضبه ذلك فحلف ليهدمنّ كعبته، فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبّأ جيشه قدّم الفيل فكان كل ما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول، فأرسل الله طيراً كل واحدة في منقارها حجر وفي رجلها حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعاً. وكيف نصب بالمصدرية بفعل ألم تر لما فيه من معنى الاستفهام فله الصدارة في المقام فلا يجوز تقدم العامل عليه بل هو معمول فعل مؤخر عنه.

وقال الأستاذ: أي ألم ينته إليك فيما أنزل عليك علم ما فعل ربك بأصحاب الفيل دلالة على تخصيص الله البيت العتيق الذي بناه الخليل الجليل بالحفظ والكلاءة على وجه التبجيل. ثم قال: فلما قرب أبرهة من مكة استاق مائتي بعير لعبد المطلب فأخبر به فركب إليهم فعرفه رجلان فقال: ارجع فإن الملك غضبان، قال: واللات والعزى لا أبرح إلا بإبلي، فقيل لأبرهة: إنه سيد قريش ردّ عليه اليوم إبله فإنه يكون لك غداً إذا هدمت البيت. فردّها عليه فرجع وتعلق بحلقة البيت وكان يقول: اللّهم إن العبد منع رحله فامنع رحلك، انتهى.

وروي أن عير مكة مدحوا عبد المطلب عند أبرهة بأنه يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فقال له: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أُخذ لك، فقال: أنا رب الإبل أطلبه وللبيت رب يمنعه/. 410/أ

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ [الآية 2] أي مكرهم في تعطيل الكعبة وتخريب البقعة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الآية 2] في تضييع بأن دمّرهم وعظم شأنها في نظرهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ [الآية 3] أي خضراً من جهة البحر ﴿أَبَابِيلَ﴾ [الآية 3] جماعات متفرقات اسم جمع لا واحد له.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] من طين متحجر، معرّب سنك كل. وقيل مأخوذ من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدوّن حتى قيل: كتب على كل حجر اسم صاحبه.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] كورق زرع أكل حبه وبقي تبنه.

قال الأستاذ: إذا كان عبد المطلب وهو كافر أخلص في التجائه إلى الله في استدفاع البلاء عن بيت الله فإن الله ما خيب رجاءه وسمع دعاءه فالمسلم المخلص إذا دعا مولاه لا يرده خائباً في دنياه وعقباه. ويقال: إنما قرب الإجابة منه لأنه لم يسأل الله لنفسه وإنما سأل لأجل البيت المنسوب إلى ربه وما كان لله فهو لا يضيع في أمره.

سورة قريش

[مكيّة]
وهي أربع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: الباء منه تشير إلى براءة ساحة الموحدين عن حسبان الحدثان وعن شبه مما لم يكن فكان بتمام الانقطاع إلى الله في السراء والضراء والشدة والرخاء، والسين تشير إلى سكونهم تحت جريان ما يبدو من الغيب في جميع أحوالهم، والميم تشير إلى منة الله عليهم في التحقيق لا تحققوا به من معرفته ولا تخلقوا به من طاعته.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ [الآية 1] أي اعجبوا لوالفتهم على ما آلفهم فيما بينهم.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ [الآية 2] بدل مما قبله بدل الاشتمال لا من باب الإطلاق والتقييد كما قال بعض أرباب المقال، وقرأ ابن عامر: لإلاف بغير ياء بعد الهمزة وهو مصدر آلف على وزن فاعل قبله أو مصدر ألف كفعل نحو: كتب كتاباً، والأول أنسب للمطابقة والثاني أقرب للمغايرة فيكون معناه لإلفتهم ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ [الآية 2] على اليمن لاعتدال هوائه ﴿وَٱلصَّيۡفِ﴾ [الآية 2] إلى الشام لاشتداد شتائه. وقريش ولد النضر ابن كنانة رأس قبائلهم وكانوا يسيرون إليهما للتجارة أو لما يحتاجون من الطعام والكسوة وكان أهلهما يعظمونهم ويراعون أحوالهم ويحفظون أموالهم. وقيل: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهو بعيد من جهة المبنى والمعنى فإنه سبحانه ما أهلكهم إلا لتعظيم بيته لا

لسكان حرمه فإنهم كانوا كفرة فجرة ليس لهم عظمة ولا حرمة وكان قائله غرّه أنهما في مصحف أبي سورة واحدة وهو غير لازم منه، وقيل متعلق بقوله:
410/ب ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾/ [الآية 3] والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر النعماء فليعبدوه لأجل إيلافهم رحلة الشتاء، ويؤيده بحسب المعنى ما ورد: اعبدوا لما يعدوكم من نعمته.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [الآية 4] أي من أجل جوع بهم أو بدل جوع فيهم ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [الآية 4] أي من خوف التخطف في بلدهم لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: الآية 67].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنعم عليهم بأن كفاهم الرحلتين بجلب الناس الميرة إليهم من الشام واليمن، يعني ومن سائر الأطراف بإتيان التحف على وجه الإتحاف كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ [القَصَص: الآية 57] آمناً يجيء إليه ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القَصَص: الآية 57] أي قدر الأمن منا ونعمة الرزق عنا.

قال: ووجه المنة في الإطعام والإيمان هو أن يتفرقوا إلى العبادة فإن لم يكن يكفي الأمور لا تسهل له الطاعة ولا تساعده القوة ولا القلب بكل وجه إلا عند السلامة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البَقَرَة: الآية 155] فقدم الخوف والجوع على جميع أنواع البأساء. قلت: ولعل وجهه أن الجوع أشد بلاء من جهة الباطن كما ورد: اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع»[1] وأن الخوف من الأعداء أشد بلاء من الخارج، ولعل تقديم

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1113) رقم (3354)، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 452) رقم (7903)، وابن حبان في الصحيح (3/ 304) رقم (1029)، وأبو يعلى في المسند (11/ 297) رقم (6412).

الخوف على الجوع في هذه الآية لأنه في نفس الأمر أشد من الجوع في الصبر، وتقديم الإطعام من الجوع في هذه السورة لأنهم كانوا إليه أحوج لكونهم غالباً في حال الأمن من الخوف.

سورة الماعون

[مكيّة]

وهي سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة سماعها غذاء أرواح المحبين، ضياء أسرار الواجدين، شفاء قلوب المهيّمين، بلاء مهج المساكين، دواء كل فقير مستكين.

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ①﴾ [الآية 1] أي بالإسلام وبالجزاء في دار المقام، والاستفهام بمعنى التعجب والاستعظام والموصول يحتمل الجنس والعهد ويؤيده قوله ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ②﴾ [الآية 2] يدفعه دفعاً عنيفاً مع أنه يستحق التكريم وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه عن حقه، أو أبو سفيان فإنه نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه وما أعطاه.

قال الأستاذ: وإنما يدع اليتيم لأنه نزع الرحمة من قلبه ولا ينزع الرحمة إلا مَن قلبه شقي عند ربه.

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ [الآية 3] أي لا يحثّ أهله وغيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الآية 3] أي على إعطائه لأنه في شح نفسه وسِرِّ نحله.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤﴾ [الآيتان 4،5]
411/أ غافلون عنها لاهون فيها غير سائلين /بها.

وأفاد الأستاذ: أن الساهي عن الصلاة هو الذي لا يصلي ولذا لم يقل

في صلاتهم ساهون ولو قاله لكان الأمر عظيماً انتهى.

وعندي أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الآية 6] تفسير لما قبله فهم الذين يصلون ولكن عن حقيقة صلاتهم ساهون وعن زبدة عبادتهم غافلون حيث يراؤون الخلق ولا يراعون الحق فيرون الناس بأعمالهم ولا يرون أن الله سبحانه مطلع على أحوالهم، وهذا يشمل صلاة المنافقين والمرائين والغافلين ويؤيد ما قررنا نقل السلمي في تفسير عن بعض العارفين أنهم الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها حيث لا يعلمون أن الصلاة مواصلة بين العبد وبين ربه فإذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة.

وقال أبو العباس بن عطاء: ليس في القرآن وعيد صعب إلا وبعده وعد لطيف غير هذه الآية ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الآية 4] ذكر الويل إن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف بمن تركها رأساً. وأقول: قد يكون تارك الصلاة من أصلها أقرب إلى المغفرة من أهل النفاق والرياء في العبادة لمخادعتهم الخلق ومطالعتهم الحق واعتماده على كرم الله مع خوفه من العقوبة في دنياه أو عقباه، ولذا قيل: معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أوجبت عنتاً أو استكباراً.

أو ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الآية 7] أي يتعاور في العادة فضلاً عن الزكاة والصدقة فعن ابن مسعود ما يستعار في العادة كالنار والقدر والدواة والمقدحة ونحوها، وعن عائشة: الماء والنار والملح وأمثالها. وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً إذا استعيرت اضطراراً وقبيحاً في المروءة في غير حالة الضرورة.

وفي «تفسير السلمي» قيل: يبخلون ببذل المال على الخلق والمهج في رضاء الحق كما فعله الصدِّيق لما قال له النبي عليه السلام: «ماذا أبقيت لنفسك، قال: الله ورسوله»(1).

وقال الأستاذ: يدخل فيه البخل بنفع الخلق بما هو ممكن ومستطاع، يعني كالجاه والتعليم والنصيحة والمساعدة والمعاونة والمساهلة في المعاملة.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 104) رقم (1298).

سورة الكوثر

[مكيّة]
وهي ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم جليل يجل العبد بإجلاله ولا يجل هو إلا باستحقاق علوه في آزاله، اسم عزيز من شأن إفضاله وإقباله وأذلّ أعداءه بسلاسله وأغلاله وبالتخليد في جحيمه وأنكاله.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الآية 1] فوعل من الكثرة للمبالغة أي الخير المفرط الكثرة من النبوة المرسلة في الدنيا ومرتبة الوسيلة ومقام الشفاعة في العقبى.

411/ب روي عنه ﷺ/: «أن نهراً في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من الفضة لا يظمأ من شرب منه وأول من ورد به فقراء المهاجرين الدنس الشّياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم أبواب السد ويموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبرّه»[1]، وهو لا ينافي ما ورد من أنه حوض الكوثر في الموقف على خلاف أنه قبل الصراط أو بعده فإنه ينصب من ذلك النهر فيه. وقيل: المراد كثرة أولاده وأتباعه أو علماء أمته.

(1) تفسير الكشاف (7/ 331)، وتفسير أبي السعود (9/ 205).

وأقول كما قال سيد الورى: «كل الصيد في جوف الفرا»[1].

وقال جعفر الصادق: أي نور في قلبك دلّك علينا وقطعك عمّا سوانا.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الآية 2] أقدم على الصلاة الجامعة للعبادات القلبية والقالبية من اللسانية والأركانية خالصاً لوجه الله ذاهلاً عن ملاحظة ما سواه شكراً لما أعطاك من نعماه ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [الآية 2] البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على أهل الاحتياج إلى هذا الأرب. أو المراد بالصلاة صلاة العبيد وبالنحر التضحية بالوجه السديد ليكون جامعاً بين العبادة البدنية والطاعة المالية. وقيل: انحر استقبل القبلة بنحرك أو ارفع يدك في صلاتك إلى نحرك وضع يمينك على يسارك في الصلاة تحت نحرك. ولا يبعد أن يقال بطريق الإشارة: دم على المواصلة في مشاهدة الحق وانحر نفسك بالمقاطعة عن ملاحظة الخلق.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ [الآية 3] أي مبغضك لبغضه لك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الآية 3] أي منقطع الخير متصل الشر بأنه في الخير لا يذكر، والمعنى أنه منقطع عن خيرات الدنيا ومثوبات العقبى أو الذي لا عقب له إذ لا يبقى منه نسل ولا حسن نقل وأما أنت فيبقى ذريتك وحسن وصيتك وآثار فضيلتك وأنوار نبوتك إلى يوم القيامة ولكن ما لا يدخل تحت الوصف في الآخرة من أنواع الكرامة.

---

(1) انظر المقاصد الحسنة (1/ 515) رقم (826)، وكشف الخفاء (2/ 121) رقم (1977).

سورة الكافرون

[مكيّة]
وهي ست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة من آمن بها أَمِنَ من زوال النعمى حظي بنعيم الدنيا والعقبى، سعد سعادة لا يشقى، وجد ملكاً لا يفنى، بقي في العز والعلا.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الآية 1] يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم غير مؤمنين. روي أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة، فنزلت: ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ [الآية 2] في الاستقبال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 2] في الحال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ [الآية 3] في الاستقبال ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ [الآية 3] في الحال ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ [الآية 4] في الحال ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الآية 4] في الحال الماضي من الأحوال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ [الآية 5] في وقت ما، ويجوز أن يكون للتأكيد للمبالغة في أمر التوحيد. وإنما قال ما دون من لأن المراد الصفة
412/أ كأنه قال: لا أعبد الباطل/ ولا تعبدون الحق أو لمطابقة المقابلة وموافقة المشاكلة. وقيل: ما مصدرية.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية 6] الذي أنتم عليه لا تتركونه ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ [الآية 6] قرأ نافع وهشام وحفص بفتح الباء وكذا الذي بخلاف عنه، أو ديني الذي أنا عليه لا أفارقه فليس فيه إذن في الكفر لبعض العباد ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخاً بآية القتال. وقد فسّر الدين بالحساب والجزاء والعبادة والدعاء فيكون كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [القصص: الآية 55].

وأفاد الأستاذ: أن العبودية القيام بحق أمره على الوجه الذي أمر وبالقدر الذي أمر وفي الوقت الذي أمر. ويقال: صدق العبودية في ترك الاختيار، ويظهر ذلك في السكون تحت تصاريف الأقدار. ويقال: العبودية انتفاء الكراهية بكل وجه من القلب كيف ما صرفك المولى الرب إن كان حالك طوعاً وإلا فتربيتم كرهاً.

سورة النصر

[مدنيّة]
وهي ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم كريم ينصر ويستر ويعلم وعلم ويمدح ولا يفضح ويعفو جميع ما يجترم العبد ويهفو، يعصي العبد على التوالي ويغفر الحق ولا يبالي.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] إياك على أعدائك ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [الآية 1] وفتح لك مكة بلدة أحبائك، وإنما عبر عن الحصول والوقوع بالمجيء إشعاراً بأن المقدرات الإلٰهية متوجهة من الأزل أوقاتها المعيّنة له فتقرّب منها شيئاً فشيئاً فكأنها تجيء مشياً، والمعنى قد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكر نعمته.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [الآية 2] أي يسلمون جماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبال العرب، ويدخلون حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت. وكان فتح مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومع رسول الله ﷺ عشرة الآف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وحين دخلها وقف على باب الكعبة وقال: «لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده»[1] وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج إلى هوازن.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 878) رقم (2628)، والبيهقي في السنن الكبرى (8/ 68) رقم (15896)، وابن حبان في الصحيح (13/ 364) رقم (6011).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الآية 3] فتعجب لتيسير الحق ما لم يخطر ببال أحد من الخلق حامداً له على فتحه، أو فصلِّ له حامداً على نعمه. روي أنه لما دخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فأثنى على الله تعالى بصفات الجلال حامداً له على نعوت الجمال ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [الآية 3] هضماً لنفسك واستصغاراً لعملك واستدراكاً لما فرط منك بالالتفات إلى عز ربك. فعنه عليه السلام: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة»[1]. وقيل: استغفره لأمتك وتقديم التسبيح والحمد على الاستغفار عن طريق التنزل من المؤثر إلى الآثار كما قال الشبلي: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبل أن كان في آزاله/ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [الآية 3] 412/ ب موصوفاً بقبول التوبة لمن استغفر عن سوء أعماله أو رجّاعاً بالمغفرة والرحمة لمن رجع عن مساوىء أحواله.

والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وأنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكى العباس رضي الله عنه فقال عليه السلام: «ما يبكيك، قال: نعيت إليك نفسك، قال: إنها لكما تقول»[2] وذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر النبوة واستقامة حال الأمة فهي كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية 3] فإن الكمال يؤذن بالزوال إلا كمال الملك المتعال فإنه لا يزال بخلاف كمال غيره فإن حصوله بالانتقال من الحال إلى حال.

وقال ابن عطاء: إذا شغلك به عما دونه فقد جاءك الفتح من عنده، والفتح هو النجاة من السجن والبشرى بلقاء الله.

وقال الواسطي: إذا فتح عليك العلوم فسبِّح بحمد الله واستغفره عما صدر عنك من قلة العلم مما أريد منك.

وأفاد الأستاذ: أن النصر من الله سبحانه له بأن أفناه عن نفسه وأبعد

---

(1) سبق تخريجه.
(2) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (4/ 319) رقم (1556).

عنه أحكام البشرية وصفّاه عن الكدورات النفسانية، وأما الفتح فهو أن رقّاه إلى محل الدنوّ والقربة واستخلصه بخصائص الزلفة وألبسه لبسة الجمع واصطلمه عنه بالحفظ والمنع وأظهر عليه ما كان قبل مستوراً لديه من أسرار الحق وأنوار الصدق وعرّفه من كمال معرفته به لديه ما كان جميع الخلق متعطشاً إليه.

سورة اللهب [المسد]

[مكيّة]
وهي خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة جبَّارة للمذنبين تجبر أعمالهم وتحقِّق آمالهم، وللعارفين تُصغر في عينهم أحوالهم وتكمل عن شواهدهم امتحانهم واستئصالهم. وفي التحقيق حقق بذلك بعد فنائهم عنهم وصالهم.

﴿تَبَّتْ﴾ [الآية 1] خسرت وهلكت ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [الآية 1] أي نفسه، وقيل إنما خصتا لأنه عليه السلام لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 214] جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب هنالك: ألهذا دعوتنا، وأخذ حجراً ليرميه به. وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه وإنما كنّاه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها أو لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكرها أو لأنه لما كان من أهل النار كانت الكنية أوفق بحاله وأنسب وليجانس قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [الآية 3]. وقرىء أبو لهب كما كتب علي بن أبي طالب..

قال أبو بكر بن ظاهر: أي ظهر خسران مَن لم ينزلك المنزلة التي نزلناك من الدنو والقربة والمحبة والنبوة خسراناً أولاً وآخراً ﴿وَتَبَّ﴾ [الآية 1] إخبار بعد إخبار للتأكيد في باب الإظهار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه الآتي أو لما سبق في علمه وقضائه الأزلي، ويدل عليه أنه قرىء: وقد تب أو الأول إخبار عما كسبت يداه/ والثاني عن نفسه في مهواه. 413/أ

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ [الآية 2] نفي لإغناء المال عنه حين ينزل به تباب الحال، أي ما أغنى عنه ماله شيئاً من سوء حاله ووخامة مآله، أو استفهام إنكار له ومحله النصب، أي أيّ غناء أغنى ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [الآية 2] أي كسبه، فما

مصدرية أو موصولة أي مكسوبة بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والاتباع، أو عمله الذي ظن أنه ينفعه في مقام المرام، أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام حال كونه أحاط به جماعة من الأنام ومات أبو لهب بالعدسة [وهي بثرة تخرج بالإنسان تشبه العدس وهي من جنس الطاعون.....][1] بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثاً حتى أنتن خوفاً من العدوى، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، قيل في طريق العمرة، وقاربه في هذا الزمان ظالم كنّي بأبي لهب فهو إخبار عن الغيب طابقه وقوعه بلا ريب.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ [الآية 3] أي نار جهنم يلزمها بعدما يدخلها لا يبرح منها ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [الآية 3] اشتعال وتلهُّب.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ [الآية 4] عطف على المستكن في سيصلى أو مبتدأ أو هي أم جميل أخت أبي سفيان والمشهور أنه بالجيم وأنا أقول بالحاء المهملة لقوله ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [الآية 4] بالرفع على الخبرية أو البداية، يعني حطب جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار في معاداة النبي المختار وهي كالحطب من أسباب النار أو حزمة الشوك والمسك والسوان فتنثرها بالليل في طريقه ﷺ. وقرأ عاصم بالنصب على الشتم.

﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [الآية 5] أي مما مسد يعني من ليف فُتِل وأحكم وتسيد وهو تصوير لها بصورة الحطّابة تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيراً لشأنها أو بياناً لحالها في نار جهنم وأهوالها حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار والطرف في موضع الحال إذا تمَّ الكلام قبله أو الخبر وحبل مرتفع به.

وقال الأستاذ: أي سحقاً لمن يعرف مرتبة قدرك وبرهانك وبعد المن لم يشهد ما خصصناك به من رفعة محلك وشأنك ومن ناصبك كيف ينفعه ماله والذي أقميناه لأجلك متى تزكو أعماله إن إلى الهوان والخزي مآله وعلى أقبح حال حال امرأته وعياله.

---

(1) كلام من الهامش.

سورة الإخلاص

[مكيّة]

وهي أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: كلمة عزيزة عزَّ لسان ذكرها وأطيب منه قلب عرفها وأعزّ منه روح أرجها وأشرف منه سرّ شهدها ليس كل من قصدها وجدها ولا كل من وجدها بقي معها وشهدها.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الآية 1] جواب لما قال المشركون: صف لنا ربك الذي تدعونا إليه، فمعنى هو أي للذي سئل عنه هو أحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات/ الجلال كما يدل الجلال على جميع نعوت الكمال إذ 413/ ب
الواحد الحقيقي ما يكون منزَّه الذات من أنحاء التركيب والتعدد كما هو لازم الممكنات وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتجزئة والمشاركة في الحقيقة والماهية كوجوب الوجود ونعت الفردانية والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية.

قال ابن عطاء: هو هو ولا يقدر أحد أن يخبر عن هويته إلا هو لا عبارة لأحد عنه حقيقة إلّا له عن نفسه فيخبر عن نفسه بحقيقة حقه وغيره يخبر عنه على حد الإذن فيه، وأمره فأخبر عن نفسه بأنه هو الله أشار من نفسه إلى نفسه إذ لم يستحق أحد أن يشير إليه سواه، فمن أشار إليه فإنما أشار إلى إشارته إلى نفسه. فمن تحقق إشارته إلى إشارته بالتعظيم والحرمة كانت إشارته صحيحة على حد الصواب ومن وقعت إشارته على حد الدعوى بطلت

إشارته وتعطلت عبارته وقعدت عن معادن الحقيقة ومنابع الطريقة. وقد يقال: ضمير هو للشأن فيفيد المبالغة في البيان أو للإشارة إلى حضور ذكر الرب في القلب وإيماء إلى أن الله تعالى يتعين للتوجه إليه والإقبال عليه فلا يقتصر إلى التصريح بذكره ولا يذهب الوهم إلى غيره.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الآية 2] السيد الذي يُصمد إليه في المطالب ويُقصد إليه في المآرب، وقيل الصمد المستغني عن كل أحد، وقيل الصمد الذي لا يدرك حقيقة ذاته وكنه صفاته.

قال جعفر الصادق: جلَّ ربنا أن تدركه العقول والفهوم والعلوم بل كما وصف نفسه والكيفية عن وصف نفسه غير معقول فسبحانه أن يصل الفهوم والعلوم إلى كيفية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88] وله الوحدانية الأزلية والأبدية والمشيئة والقدرة الذاتية.

وقال الأستاذ: ويرجع تحقيق قول من قال إنه الذي لا جوف له إلى أنه واحد لا ينقسم في ذاته.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الآية 3] لأنه لا يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الآية 3] لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآية 4] أي ولم يكن له أحد يكافئه ويماثله من صاحبة وغيرها. وقرأ حفص: كفؤاً بالواو بدل الهمزة وحمزة بسكون الفاء وصلاً مع الهمزة وبالواو وقفاً.

قال أبو سعيد الخراز: إن الله عزَّ وجلَّ أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة فمن فهمها فهم ما وراءها وهو قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 1] فتم به المراد للخواص ثم زاد بياناً للأولياء فقال: ﴿أَحَدٌ﴾ [الآية 1] ثم زاد بياناً للأصفياء فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الآية 2] ثم زاد بياناً فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآيتان 3،4] فمن فهم معنى الله/ 414/أ
استغنى به عما سواه فأهل الحقائق استغنوا بالله لعلو مناقبهم وهذه الزيادات لمن

تنزّلت مرتبته عن مراتبهم.

وأفاد الأستاذ: أن السورة بعضها تفسير لبعض من هو الله؟ هو أحد، من الأحد؟ الصمد، من الصمد؟ الذي لم يلد ولم يولد، من الذي لم يلد ولم يولد؟ الذي لم يكن له كفواً أحد. ويقال: كاشف الأسرار بقوله هو كاشف الأرواح بقوله: الله وكاشف القلوب بقوله أحد، وكاشف النفوس بباقي السورة. ويقال: كاشف الوالهين بقوله: هو، والموحدين بقوله: الله، والعارفين بقوله: أحد، والعلماء بقوله: الصمد، والعقلاء بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الآيتان 3،4].

سورة الفلق

[مكيّة]
وهي خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز إذا تجلى لقلب فإن لاطفه بجماله أحياه وإن كاشفه بجلاله أباده وأفناه، فالعبد في حالتي بقاء وفناء ونحو وصحو ووجد وفقد.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الآية 1] أي الفجر، ومنه قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: الآية 96] أو فلق البحر كما وقع لبعض أرباب الفلاح.

وقال محمد بن علي الترمذي: عطف الله على قلوب خواص عباده فقذف فيها النور والضياء فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء.

وأفاد الأستاذ: إن الفلق يقال وادٍ في جهنم يستعذ منه جهنم والله أعلم. ثم وجه تخصيص الأول على ما هو المعوّل لأن فيه كفاية شر الليل إذ هو أدهى الويل ولما فيه من تغير الحال إلى حسن المآل وتبدُّل وحشة ظلمة الليل بسرور نور النهار ومحاكاة فاتحة يوم القيامة في دار القرار، وللإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه من الويل. وتخصيص لفظ الرب في هذه القضية لأن الإعاذة من المضار نوع من التربية.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الآية 2] أي من الشرور كلها من الاختياري اللازم والمتعدي كالكفر والظلم والطبيعي كإحراق النار وإهلاك السم وفيه إيماء إلى أن

جميع المخلوقات ما يخلو عن شر يفضي إلى بعض الآفات.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ [الآية 3] ليل عظم ظلامه للأشياء ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الآية 3] دخل ظلامه في كل شيء حتى ملأ الدنيا لأن المضار فيه تكثر والدفع فيه يصعب ويعسر، وفي الحديث أنه ﷺ أخذ بيد عائشة رضي الله عنها ونظر إلى القمر فقال: «تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب»[1] أي دخل في الكسوف أو غاب وغرب.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] أي النفوس من السواحر يعقدن عقداً في الخيط وينفثن عليها حال الربط والنفث نفخ من ريق وتخصيصه لما روي أن يهودياً سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة في وتد ودسه/ في بئر 414/ ب
فمرض النبي ﷺ فنزلت المعوذتان وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل علياً كرَّم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلّت عقدة وحصلت خفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الأنعام: الآية 47] لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر أو أنه مستمر السحر مع أن ذاك قول الكفار بمكة المكرمة وهذا أمر عرض بالمدينة المعظَّمة.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الآية 5] إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود ضرره منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص بالحاسد لاغتمامه بسروره في حال السعود ومقام الصعود ولذا قيل: الحسود لا يسود.

وأفاد الأستاذ: أن في السورة تعليم استدفاع الشرور من الله ومن صحّ توكله على الله فهو الذي تحقق بالله فإذا توكل لديه وفوّض الأمر إليه لم يوفقه الله لتوكله إلا والمعلوم من لطفه وكرمه أنه يكفيه ما توكل به عليه وأن العبد به حاجة إلى اندفاع البلاء عنه فإن أخذ في التحرز بجلادته وحوله وقوته

---

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 84) رقم (10138)، وأبو يعلى في المسند (7/ 417) رقم (4440)، وأحمد في المسند (6/ 61) رقم (24368).

وبصيرته وعمي عن شهود التقدير تضاعف عليه البلاء في كل وقت من أوقات وجود التدبير، وإذا صح تبرؤه عن حوله وقوته وتحقق بشهود جريان التقدير فإلى أن يزول البلاء استراح من تعب تردد القلب في أمر التدبير وعن قريب يرقى إلى مقام الرضا كفي مراده أم لا، وعند ذلك لقي الملك الأعظم وارتفع عنه كل الهم والغم فهو وبظاهره لا يفتر عن الاستعاذة بالمولى وقلبه لا يخلو عن التسليم والرضا.

سورة الناس

[مكيّة]

وهي ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله الذي قصرت العقول فوقفت، وعجزت العلوم فتحيّرت، وتقاصرت المعارف فخجلت، وانقطعت الفهوم فدهشت، وهو بنعت علائه ووصف سنائه وبهائه وعزّ كبريائه.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الآية 1] أي خالقهم ومالكهم ومربيهم ومتولي أمرهم، والمعنى قل أعتصم وألوذ من المضارّ البدنية والقلبية التي تعرض النفوس البشرية بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم، ولذا أبدل عنه.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الآية 2] فإن الرب قد لا يكون ملكاً والملك قد لا يكون إلٰهاً، وتكرير الناس لما في الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان. وقيل: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 1] أي الأطفال منهم لمناسبة التربية لهم، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الآية 2] أي الشباب لأن لهم دعوى الملك والملك، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الآية 3] أي الشيوخ لوجوب العبودية كما تقتضي النعوت الإلٰهية ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ [الآية 4] أي الوسوسة اسم كالزلزال/ بمعنى الزلزلة 415/أ أما المصدر فبالكسر كالزلزال.

والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [الآية 4] الذي عادته

الخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الآية 5] إذا غفلوا عن ذكر ربهم واشتغلوا بحظ أنفسهم ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الآية 6] بيان للوسواس أو يتعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة إنهم يعلمون الأمور الغيبية والناس كالكهان والمنجّمين في تأثير الأدوار الفلكية.

قال يحيى بن معاذ: الوسوسة بذر الشيطان فإن لم تعطه أرضاً وماءً ضاع بذره وبطل أمره وإن أعطيته الأرض والماء بذر فيه فسئل ما الأرض والماء.

قال: الشبع أرضه والنوم ماؤه، يعني من كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه عظم ندمه.

وقال سهل: من أراد الدنيا البحت لم ينج من الوسوسة.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان له تسليط على الناس بالوساوس وأن النفس من قبلها للعبد هواجس، والوساوس والهواجس متقاربان وفرقوا بينهما بأن الشيطان إذا دعاك إلى محظور فإن خالفته يدع ذلك ويدعوك إلى معصية أخرى هنالك إذ لا غرض له إلا إدامة دعائك إلى مطلق زلّة وهي لها غير مختلفة والنفس تدعوك إلى حظها وهي لجوج في مقصدها ولا تنصرف عنك ما لم تصل إلى مرادها فتلح ولا ترضى بدون حصول مطلوبها ووصول محبوبها إلا بمجاهدة صادق في حقها وكل من جاهد بنفسه من غير استعانة بربه وتبرئته وقوته لم يتم له الأمر في مجاهدته وعن قريب سيقع في وهدة غلطه من مشاهدته، وإذا علم الحق سبحانه صدق الاستغناء من عبده أعانه بل إذا أراد الحق إعانة عبد حمله على الاستعانة بربّه من شرّ عدوه والتوكل عليه في

جميع ما يرد عليه في الطريق، وبالله التوفيق.

تمَّ كتاب
«أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع
بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان»

والحق أنه جوهرة منيعة لمعت من معادن الحقائق الربانية ودرة رفيعة طلعت
من منابع الدقائق السبحانية ليس فيه ما ينافي الطريقة من هو على الشريعة
والحقيقة فإنه منزَّه عما يقول الحلولية والإلحادية من أصحاب التفرقة بأن
القراءات العادية غير صحيحة الرواية ولا الإعرابات الغريبة في مقام الدراية
لا فارض ولا بكر بل بين ما صدر عن نقل أو ظهر

فهرس المحتويات

سورة الحجرات 3
سورة ق 13
سورة الذاريات 25
سورة الطور 38
سورة النجم 47
سورة القمر 61
سورة الرحمٰن 71
سورة الواقعة 86
سورة الحديد 101
سورة المجادلة 117
سورة الحشر 128
سورة الممتحنة 140
سورة الصف 147
سورة الجمعة 154
سورة المنافقين 160
سورة التغابن 165
سورة الطلاق 171
سورة التحريم 179
سورة الملك 186
سورة ن 195
سورة الحاقة 206
سورة المعارج 214
سورة نوح عليه السلام 221

سورة الجنّ 225
سورة المزمل 231
سورة المدثر 237
سورة القيامة 245
سورة الدهر 252
سورة المرسلات 260
سورة النبأ 266
سورة النازعات 271
سورة عبس 276
سورة التكوير 281
سورة الانفطار 285
سورة المطففين 289
سورة الانشقاق 295
سورة البروج 299
سورة الطارق 304
سورة الأعلى 306
سورة الغاشية 311
سورة الفجر 316
سورة البلد 321
سورة الشمس 325
سورة الليل 328
سورة الضحى 332
سورة [الانشراح] ألم نشرح 338
سورة التين 341
سورة العلق وقيل: القلم 345
سورة القدر 349
سورة البيّنة 352

سورة الزلزلة 355
سورة العاديات 357
سورة القارعة 359
سورة التكاثر 362
سورة العصر 365
سورة الهمزة 368
سورة الفيل 371
سورة قريش 373
سورة الماعون 376
سورة الكوثر 378
سورة الكافرون 380
سورة النصر 382
سورة اللهب [المسد] 385
سورة الإخلاص 387
سورة الفلق 390
سورة الناس 393